ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index

منهج العلامة محمد بن علي بن آدم الإثيوبي في القراءات القرآنية وتوجيهها من خلال كتابه ـ البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج

أ. المهـــــدي عبد النبي عبد الله المهدي*
عضو هيئة تدريس بالهيئة الليبية للبحث العلمي — فرع بنغازي
almahdialkzali1989@gmail.com

تاريخ الارسال 2026/1/22م تاريخ القبول 2026/4/28

Al-Ubbi's Methodology in Qur'anic Recitations (Qira'at) through his Book: Ikmal Ikmal al-Mu'lim bi Sharh Sahih Muslim"

Prepared by:
Al-Mahdi Abd al-Nabi Abd Allah al-Mahdi Faculty Member at the Libyan Authority for Scientific Research — Benghazi Branch

Abstract

This research examines the methodology of the eminent scholar and Hadith specialist Muhammad ibn Ali ibn Adam al-Etyopi (d. 1442 AH) in the science of Qira'at (Quranic recitations) through his encyclopedic work, "Al-Bahr al-Muhit al-Thajjaj fi Sharh Sahih Muslim bin al-Hajjaj." The study seeks to highlight the "Qur'anic" and linguistic dimensions of Sheikh al-Etyopi's personality, who was known as the Hadith scholar of the era. It reveals how he employed Quranic recitations—both frequent (mutawatir) and anomalous (shadhdh)—as a central tool in interpreting Prophetic texts, deducing legal rulings, and analyzing obscure vocabulary. The research relies on inductive and descriptive-analytical methods to track the instances where al-Etyopi cited recitations, while analyzing his weighted preferences and scholarly critiques. The study concludes that Sheikh al-Etyopi possessed a critical Hadith-based faculty that linked narration (riwayah) with comprehension (dirayah), demonstrating a unique cognitive integration between the modes of recitation and the indications of the Sunnah, making

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

his commentary an authentic contemporary reference in the justification and explanation of Quranic recitations.

Keywords: Muhammad Ali Adam al-Etyopi, Al-Bahr al-Muhit al-Thajjaj, Quranic Recitations, Tawjih al-Qira'at, Sharh Sahih Muslim, Contemporary Hadith Scholars.

الملخـــــص:

تنـــاول هذا البحث دراســـة منهج العلامة المحدث محمد بن علي بن آدم الإثيوبي (ت 1442 هـ) في علم القراءات من خلال كتابه الموسوعي "البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج". سعت الدراسة إلى إبراز الجانب "المقرئ" واللغوي في شخصية الشيخ الإثيوبي، الذي عُرف بكونه محدث العصر، وكشفت الدراسة عن كيفية توظيفه للقراءات القرآنية -بنوعيها المتواتر والشاذ- كأداة مركزية في توجيه النص النبوي، واستنباط الأحكام الفقهية، وتحليل غريب اللغة. اعتمد البحث على المنهجين الاستقرائي والوصف التحليلي لتتبع المواضع التي أورد فيها الإثيوبي القراءات، مع تحليل اختياراته الترجيحية ونقده العلمي. وخلصت الدراسة إلى أن الشيخ الإثيوبي امتلك ملكة نقدية حديثية ربطت بين الرواية والدراية، مُظهراً تكاملاً معرفياً فريداً يربط بين وجوه القراءات ودلالات السنة، مما يجعل شرحه مرجعاً معاصراً أصيلاً في توجيه القراءات وعللها.

الكلمات المفتاحيـــــة: محمد علي آدم الإثيوبي، البحر المحيط الثجاج، القراءات القرآنية، توجيه القراءات، شرح صحيح مسلم، المحدثون المعاصرون.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه بلسان عربي مبين، وقيّض لحفظه وخدمته علماء راسخين، جمعوا بين الرواية والدراية، وجعلوا من توجيه القراءات سبيلاً لبيان وجوه الهداية. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل القرآن معجزته الخالدة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفصح مَن نطق بالضاد، والمؤيد بالوحي في الإصدار والإيراد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأطهار، ومَن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فإن خدمة الوحيين هي غاية الغايات ومطمح أهل العلم، وقد قيض الله لهذه الأمة في عصرنا الحاضر جهابذة أفنوا أعمارهم في خدمة السنة، ومنهم العلامة المحقق محمد

بن علي بن آدم الإثيوبي (ت 1442 هـ)، الذي خلّد أثره بكتابه الفذ " البحر المحيط الثجاج"؛ وهو شرح يعد من أوسع شروح صحيح مسلم في العصر الحديث، بلغت مجلداته الأربعين، وحوى عيون المسائل في الحديث والفقه واللغة.

والمتأمل في هذا الشرح يلحظ عناية الشيخ الإثيوبي الفائقة بـ "علم القراءات "؛ فلم يقتصر على سردها، بل غاص في توجيهها لغوياً وإعرابياً، موظفاً إياها كأداة مركزية لفهم مشكل الحديث واستنباط الأحكام، رابطاً بين دلالات التنزيل وعلوم السنة في نسيج معرفي فريد.

إشكالية البحث:

وتـــبرز إشكالية البحث في الحاجة لاستجلاء هذا الجانب التخصصي؛ إذ رغم شهرة الشيخ الإثيوبي الحديثية الواسعة، إلا أن منهجه في " القراءات" -موجهاً ومستشهداً- لم ينل حظه المستحق من الدراسة المستقلة، مما استوجب تسليط الضوء على إضافاته العلمية الدقيقة، ومعرفة مصادره واختياراته في توظيف القراءات لخدمة النص النبوي. وتتمحور إشكالية هذا البحث في السؤال الرئيسي التالي:

ما هو المنهج العلمي الذي سلكه الشيخ محمد علي آدم الإثيوبي في عرض وتوجيه القراءات القرآنية في كتابه "البحر المحيط الثجاج"، وما هي مصادره واختياراته في ذلك؟

تســـاؤلات البحث:

1- كيف وظف الشيخ الإثيوبي القراءات في تفسير وفهم أحاديث صحيح مسلم؟

2- ما هي المصادر التي اعتمد عليها الإثيوبي في نقل القراءات (أمهات كتب القراءات أم كتب الشروح الحديثية)؟

3- هل كان الإثيوبي ناقلاً للقراءات أم كان له آراء واختيارات وترجيحات لغوية خاصة؟

4- ما مدى ارتباط علم القراءات بالجانب النحوي والصرفي عند الشيخ الإثيوبي في شرحه

أهـــــداف البحث:

1- استخراج المواضع التي تعرض فيها الشيخ الإثيوبي للقراءات القرآنية في كتابه.

2- تأصيل المنهج الذي اتبعه في قبول أو رد القراءات في سياق الاستشهاد الحديثي.
3- بيان دور القراءات في توضيح غريب الألفاظ والمشكل من الحديث عند الإثيوبي.

أهمية البحث:

1- إبراز القيمة العلمية لكتاب "البحر المحيط الثجاج" كمرجع معاصر في توجيه القراءات القرآنية.
2- الكشف عن سعة اطلاع الشيخ الإثيوبي في علوم الآلة والقرآن، والتي جعلته يمزج بين ملكة المحدث والمقرئ.
3- بيان أثر القراءات القرآنية في فهم السنة النبوية واستنباط الأحكام من خلال "البحر المحيط الثجاج".
4- إثراء المكتبة الإسلامية بدراسات تخصصية حول أعلام القرن الخامس عشر الهجري المبدعين.

أسباب اختيار البحث :

1- الرغبة في سبر أغوار منهج الشيخ الإتيوبي الذي تميز بالاستقصاء والتحقيق العجيب.
2- ندرة الدراسات التي تناولت الجانب "القرائي" (علوم القراءات) عند الشيخ الإثيوبي مقارنة بشهرته في شرح السنن.
3- كون الكتاب شرحاً جامعاً يستفيد من إرث المتقدمين (كعياض والنووي والقرطبي) ويضيف عليها بأسلوب المحدثين المتأخرين.

منهجية البحث:

المنهج الاستقرائي: بتتبع وحصر المواضع التي ذكر فيها الإثيوبي القراءات في كامل مجلدات "البحر المحيط الثجاج". المنهج الوصفي التحليلي: بدراسة هذه المواضع وتحليل أسلوب الشيخ في التوجيه والتعليل، ومقارنتها بأصول علم القراءات واللغة.

خطة البحث:

تمهيد: التعريف بالكتاب والمؤلف ، تمهيد: التعريف بالإمام الإثيوبي وبكتابه البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد علي بن آدم الإثيوبي والمطلب الثاني: منهج العلامة الإثيوبي في كتابه "البحر المحيط الثجاج". المبحث الأول: معالم المنهج العام للإثيوبي في القراءات المطلب الأول: عنايته بالقراءات المتواترة والشاذة وموقفه من حجيتهما. والمطلب

الثاني: مصادر الشيخ الإثيوبي في علم القراءات واللغة والمطلب الثالث: مصطلحات القراءات والأسلوب الأدائي عند الإتيوبي. وفي المبحث الثاني: الجانب التطبيقي لتوجيه القراءات عند الإثيوبي ، المطلب الأول: توجيه القراءات من الناحية اللغوية (النحو والتصريف واللغات). والمطلب الثاني: أثر القراءات في استنباط الأحكام الفقهية وشرح الحديث عند الإثيوبي. المطلب الثالث: الاختيارات والترجيحات القراية ونقد الأقوال عند الإثيوبي..

تمهيد ـ التعريف بالإمام الإثيوبي وبكتابه البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج :

المطلب الأول ـ التعريف بالشيخ محمد علي بن آدم الإثيوبي[1] :

اسمه ونسبه: هو محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي"[2].

مولده ونشأته: ولد عام (1366هـ/)(الموافق لعام 1946م تقريباً) في إثيوبيا، وترعرع في كنف والده الأصولي المحدث الشيخ علي آدم، فأحسن تربيته، وحبّب إليه العلم، فنشأ محبّاً للعلم الشرعي من صغره.

طلبه للعلم: بدأ رحمه الله بحفظ القرآن على والده وهو صغير، ثم التحق بالشيخ محمد قيّو رحمه الله، فأكمل عليه القرآن كاملاً، ثم انكب على المدارسة والمطالعة في سائر فنون الشريعة على يد والده ومشايخ بلده[3].

أبرز شيوخه:

1- والده الأصولي المحدث علي آدم؛ فقد قرأ عليه كتب العقائد، وكتب الفقه الحنفي، وفي أصول الفقه وغيره من العلوم، وقد أجازه.

2- الشيخ محمد قيّو بن ودي رحمه الله، وهو شيخه الذي حفظ عليه القرآن كاملاً.

3- الشيخ محمد زين بن محمد الداني، وقد قرأ عليه معظم صحيح مسلم مع شرح النووي، وغيره من كتب الحديث، كما قرأ عليه التفسير.

4- الشيخ محمد بن رافع بصيري، قرأ عليه سنن الإمام الترمذي، وسمع عليه سنن أبي داود وسنن النسائي وغيرها، وقد أجازه.

5- الشيخ حياة بن علي الأثيوبي، قرأ عليه بعض الصحيحين، وأجازه.

6- الشيخ محمد سعيد بن الشيخ علي الدري، قرأ عليه ما يقارب الثلاث سنين في اللغة والحديث وغير ذلك، وقد أجازه[4].

أشهر مؤلفاته: كان الشيخ الإثيوبي غزير التأليف، وكانت بعض مؤلفاته تصل إلى عشرات المجلدات، ومن مؤلفاته:

1- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، وهو خمسة وأربعون مجلداً.

2- شرح سنن النسائي المسمى بذخيرة العقبى في شرح المجتبى، وهو اثنان وأربعون مجلداً.

3- إتحاف الطالب الأحوذي بشرح جامع الإمام الترمذي، ولم يكتمل، فالمطبوع منه 18 مجلداً.

4- مشارق الأنوار الوهاجة، ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن ابن ماجه، لم يتمه وكتبت منه أربع مجلدات.

5- قرة العين في تلخيص تراجم الصحيحين، في مجلد واحد.

6- إسعاف ذوي الوطر في شرح نظم الدرر، شرح «ألفية السيوطي» في المصطلح، مجلدان.

7- نظم الجوهر النفيس في نظم أسماء ومراتب الموصوفين بالتدليس، وشرحه في كتابه الجليس الأنيس في شرح الجوهر النفيس.

8- عمدة المحتاط في نظم أسماء من رُمي من الثقات بالاختلاط، وشرحه في كتابه عُدّة أولي الاغتباط في شرح عمدة المحتاط[5].

وغيرها الكثير من المؤلفات التي بلغت الخمسين مؤلفاً.

- **وفاته:** انتقل الشيخ إلى رحمة الله تعالى في يوم الخميس الموافق 21 صفر 1442 هـ (8 أكتوبر 2020م)، ودفن في مقبرة شهداء الحرم في حي الشرائع بمكة المكرمة[6].

المطلب الثاني ـ منهج العلامة الإثيوبي في كتابه : "البحر المحيط الثجاج": .

يُعد كتاب "البحر المحيط الثجاج" موسوعة حديثية ولغوية، رسم فيها المؤلف مساراً دقيقاً يجمع بين الرواية والدراية، ويمكن بسط معالم هذا المنهج فيما يلي:

أولاً: اعتنى الإثيوبي بضبط أحاديث الكتاب وترقيمها بأسلوب يجمع بين الدقّة الحديثية وما ألّفه المتأخرون من ترقيمات مشهورة، لتسهيل العزو والبحث. قال الإثيوبي:" ترقيم أبواب الكتاب، وأحاديثه، وقد جعلت له رقمين : الأول: رقمي الذي اتخذته رقمًا مفصّلًا لأحاديث الكتاب كلها، وصورته هكذا. والثاني : رقم محمد

فؤاد عبد الباقي رحمه الله... ، وهذا من باب التيسير على الناس؛ لئلا يدخل التشويش عليهم لو غيّرت الأرقام المألوفة لهم، فليُتفطَّن لذلك، فإنه مهمّ جدًّا»[7].

منهجه في تراجم الرجـــال والجرح والتعديل: سلك الإثيوبي مسلكاً استقصائياً في تعريف الرواة، مفرقاً بين من يمر ذكره لأول مرة وبين من تكرر في الأسانيد، معتمداً على أمهات كتب الفن. قال الإثيوبي: «ذكر تراجم رجال السند، مسلسلًا بالأرقام، وأذكر له عنوانًا بقولي: "رجال هذا الإسناد: خمسة"، أو ستة... إن كان المترجم لم يَسْبِقْ له ذكرٌ، توسّعت في ترجمته بذكر ما قاله علماء الجرح والتعديل، حتى يُعْـــرَف حقَّ المعرفة بما له وما عليه، وإن تقدّمت ترجمته ذكرتُ ما يُعْرَف به من نسبه، وطبقته، ومرتبته في العدالة، والضعف، ووفاته... ثم أُحيله على المحلّ الذي سبقت ترجمته المطوّلة فيه»[8].

العناية باللغـــة والصرف والإعراب: يُعد الجانب اللغوي من أقوى ركائز منهج الإثيوبي، حيث يعامل الحديث الشريف كأعلى نص لغوي يستوجب التحليل الصرفي والبياني والنحوي. قال الإثيوبي: «أذكر ما يتطلّبه ذلك الحديث من شرح غريبه، وبيان صرفه، وإعرابه، وإيضاح ما يُستشكل من جُمَله، وذلك ببيان أقوال اللغويين، والنحويين، والبيانيين، والفقهاء المعتبرين، وغير ذلك»[9].

رتب الإثيوبي شرح المتن في قوالب منهجية: سماها "مســـائل"، تضمن استيعاب الحكم الفقهي واختلاف العلماء، ووجه مطابقة الحديث للترجمة. قال الإثيوبي: «ثم أذكر المسائل التي تتعلّق بذلك الحديث، فأكتب عنوانًا: " مسائل تتعلّق بهذا الحديث"... ، وفي الفائدة الأولى أُشير إلى وجه المطابقة لذكر الحديث في ذلك الباب... وفي اختلاف أهل العلم في حكم كذا، إذا كان هناك اختلاف بينهم في مسألةٍ ما من الحديث، وهلُمّ جرًّا بحسب كثرة متعلّقات الحديث وقلّتها»[10].

خامساً ــ التخريج الموسع وإتمام إحالات الإمام مسلم: تميز الإثيوبي بميزة لم يسبقه إليها أحد من الشّـــراح، وهي فك رموز إحالات الإمام مسلم (مثل قوله: نحوه، أو مثله) بذكر المتن كاملاً من مصادره الأصلية. قال الإثيوبي: «العناية بإتمام إحالات المصنّف بقوله: "مثل حديث فلان"، أو "مثله"، أو "نحوه"... وهذا البحث مهمّ جدًّا، فإن إحالات المصنّف - رحمه الله - في هذا الكتاب كثيرة، ولم يَقُم أحد من الشرّاح فيما وصل إليّ بهذا المهمّ، مع شدّة الحاجة إليه، فأنا -إن شاء الله تعالى- سأبذل جهدي في إتمام ذلك»[11].

سادساً ـ العناية بلطائف الإســـناد والطبقات: لم يغفل الجانب الاصطلاحي الدقيق الذي يبين خصائص السند من حيث العلو والنزول وطبقات الرواة. قال الإثيوبـــي: " ذكر لطائف الإسناد... وأكتب الطبقات بين القوسين ...»."[12]

المبحث الأول ـ الضوابـــط المنهجية والأصولية في إيراد القراءات:

المطلب الأول ـ الاحتجاج بالقراءات المتواترة والشاذة وأثرها اللغوي:

الظـــفر: أورد العلامة الإثيوبي في كتابه : (البحر المحيط الثجاج) عند شرحه لحديث الوضوء، تفصيلاً لغوياً وقرائياً لكلمة "الظفر"، مبيناً أوجه القراءات فيها، ونصه كالآتي: « الظفر» للإنســـان مذكَّرٌ، وفيه لغات: أفصحها: بضمّتين (ظُفُر)، وبها قرأ السبعة في قوله – تعالى- : ﴿**حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ**﴾. والثانيـــة: الإسكان (ظُفْر)؛ للتخفيف، وقرأ بها الحسن البصريّ، والجمع أَظفار، وربّما جُمع على أَظْفُر، مثل رُكْنٍ وأَرْكُنٍ. والثالثة: بكسر الظاء (ظِفْر)، وزانُ حِمْلٍ. والرابعة: بكسرتين (ظِفِر)؛ للإتباع، وقُرئ بهما في الشاذّ. والخامسة: أُظْفُور، والجمع أَظَافير، مثلُ أُسْبُوع وأَسَابيع، قال الشاعر:

مَا بَيْنَ لُقْمَتِهِ الأُولَى إِذَا انْحَدَرَتْ وَبَيْنَ أُخْرَى تَلِيهَا قِيدُ أُظْفُورِ[13]

توجيه القـــــراءة:

تعددت القراءات واللغات في هذه اللفظة، ويمكن توجيهها من الناحية اللغوية والقرائية على النحو التالي:

1. قراءة الضمتين (ظُفُر): هي القراءة المتواترة (قراءة السبعة)، وهي الأصل في اللغة والأفصح. قال الإمام النووي: «أجودهما ظُفُر بضم الظاء والفاء، وبه جاء القرآن العزيز»[14].

2. قراءة إسكان الفاء (ظُفْر): وهي قراءة الحسن وطَلْحة والأعمش، وتوجيهها أنها لغة في الكلمة جاءت على سبيل "التخفيف"، فالعرب قد تُسكن العين في الاسم الذي على وزن (فُعُل) طلباً للخفة، كما في "كُتُب" و"كُتْب".

3. قراءة كسر الظاء (ظِفْر) وكسر الفاء للإتباع (ظِفِر): وهي من القراءات الشاذة التي نُقلت عن أبي السَّمَّال وغيره. وتوجيه (ظِفْر) بكسر الظاء أنها لغة مشهورة عند العرب، وإن كان بعض النحاة كأبي حاتم قد أنكرها، إلا أن إثباتها في كتب القراءات

واللغة أصح. قال الهُذلي في (الكامل): «روى الزَّعْفَرَانِيّ عن أبي السَّمَّال (ظِفْر) بكسر الظاء وإسكان الفاء»[15]. أما كسر الفاء (ظِفِر) فهو لإتباع حركة الفاء لحركة الظاء.

2-نِعِمَّا: أورد العلامة الإثيوبي في شرحه لحديث "صحبة المماليك" تفصيلاً لغوياً وقرائياً للفظ (نِعِمَّا) الوارد في قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾، ونصه: «نِعِمَّا: ففيها ثلاث لغات، قرئ بهنّ في السبع: إحداها: كسر النون مع إسكان العين، والثانية كسرهما، والثالثة فتح النون مع كسر العين، والميم مشددة في جميع ذلك؛ أي: نعم شيءٌ هو، ومعناه: نعم ما هو، فأدغمت الميم في الميم»[16].

توجيه القراءة:

1-توجيه قراءة فتح النون وكسر العين (نَعِمَّا): توجيه هذه القراءة أنها جارية على الأصل؛ لأن الفعل (نَعِمَ) على وزن (فَعِلَ)، ثم اتصلت به "ما" فصار (نَعِمَ ما)، ثم أُدغمت الميم في الميم طلباً للخفة. قال الدمياطي البناء: «فابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بفتح النون وكسر العين مشبعة على الأصل كعلم، وافقهم الأعمش»[17].

2-توجيه قراءة كسر النون وكسر العين (نِعِمَّا): توجيه هذه القراءة أنها لغة (هذيل)، حيث كُسرت النون إتباعاً لكسرة العين التي تليها، وذلك لثقل الانتقال من الفتح إلى الكسر في كلمة واحدة بعد الإدغام. قال الإمام النووي: «قرأ ابن كثير وورش وحفص بكسر النون، وإشباع كسرة العين»[18].

وعضده البناء بقوله: «والباقون بكسر النون اتباعاً لكسر العين وهي لغة هذيل»[19].

3-توجيه قراءة كسر النون وإسكان العين (نِعْمَّا): توجيه هذه القراءة أن أصلها (نِعِمَ) بكسر النون والتباع، ثم سُكنت العين للتخفيف، فاجتمع ساكنان (العين والميم الأولى من المشدد). قال ابن باذش: «وقرأ قالون وأبو عمرو وأبو بكر بكسر النون واختلاس حركة العين، وورد النص عنهم بالإسكان، وفيه الجمع بين ساكنين وهو غير جائز عند البصريين، ويجوز عند الكوفيين»[20].

وقال البناء موضحاً قوة هذه القراءة: «وروى عنهم الإسكان أكثر أهل الأداء وهو صحيح رواية ولغة وقد اختاره أبو عبيدة أحد أئمة اللغة، وناهيك به، وقال: هو لغة النبي ﷺ»[21].

4-توجيه وجه "الاختلاس" أو "الإخفاء": وهو الوجه الذي يهرب فيه القارئ من الجمع بين الساكنين دون إتمام الحركة، وهو مذهب المغاربة في توجيه قراءة أبي عمرو وقالون. قال البناء: «فروى عنهم المغاربة إخفاء كسرة العين، يريدون الاختلاس فراراً من الجمع بين الساكنين»[22].

3-يأجوج ومأجوج

أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) الأوجه القرائية في لفظي (يأجوج ومأجوج)، مبيناً علة التسمية: «(فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) هما غير مهموزين عند جمهور القراء، وأهل اللغة، وقرأ عاصم بالهمز فيهما، وأصله من أَجِيج النار، وهو صوتها، وشَرَرُها، شُبِّهُوا به؛ لكثرتهم، وشدّتهم، واضطراب بعضهم في بعض»[23].

توجيه القراءة:

1-توجيه قراءة الهمز (يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) وهي قراءة عاصم، وتوجيهها أنها مشتقة من (أجيج النار) لشدة التهابهم واضطرابهم، أو من (الأجّة) وهي الاختلاط. قال ابن حجر العسقلاني: «وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِالْهَمْزَةِ السَّاكِنَةِ فِيهِمَا وَهِيَ لُغَةُ بَنِي أَسَدٍ... وَقِيلَ: مِنْ أَجِيجِ النَّارِ وَهُوَ الْتِهَابُهَا، وَقِيلَ: مِنَ الْأَجَّةِ بِالتَّشْدِيدِ، وَهِيَ الِاخْتِلَاطُ»[24]. وقال الإمام النووي: «وقرأ عاصم بالهمز فيهما»[25].

2-توجيه قراءة ترك الهمز (يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ) وهي قراءة الجمهور، وتوجيهها أنها أسماء أعجمية ممنوعة من الصرف، أو مشتقة من (المَوْج) لاضطرابهم كاضطراب البحر. قال ابن حجر العسقلاني: «وَهُمَا اسْمَانِ أَعْجَمِيَّانِ عِنْدَ الْأَكْثَرِ، مُنِعَا مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالْعُجْمَةِ... وَقِيلَ: مَاجُوجُ مِنْ مَاجَ إِذَا اضْطَرَبَ»[26]. وقال الإمام النووي: «فهما غير مهموزين عند جمهور القراء»[27].

4-لؤلؤ: أورد العلامة الإثيوبي الأوجه القرائية في لفظ (اللؤلؤ) مبيناً انضباطها في السبع: «اللؤلؤ: معروف، وفيه أربع قراءات في السبع: بهمزتين في أوله وآخره، وبحذفهما، وبإثبات الهمزة في أوله دون آخره، وعكسه»[28].

توجيه القراءة:

1-قراءة الهمزتين (اللؤلؤ)

توجيهها أنها الأصل في اللغة والاشتقاق من (التلألؤ)، وتحقيقهما جارٍ على مقتضى بنية الكلمة. قال الإمام النووي: «وفيه أربع لغات: وهي أربع قراءات قرىء بهن في القراءات السبع إحداهن: بهمزتين»[29].

2- قـــراءات التخفيف (بالإبدال أو الحذف) : توجيهها يعود لقواعد تسهيل الهمز أو إبداله واواً طلباً للخفة، سواء بترك الأولى أو الثانية أو كليهما. قال الهُذلي: «(اللؤلُؤُ)، (وَلُؤلؤا) بترك الهمزة الأولى أبو جعفر وشيبة وأبو بكر وأبو عمر... وزاد المندري عن أبي بكر ترك الهمزة الثانية»[30]. وقال النووي: « والثانية: لولو بغير همز فيهما، والثالثة : بهمز الأول دون الثاني، والرابعة: عكسه»[31].

3- التوجيه بالقياس اللغـــــوي: ثبوت أصالة اللفظ العربي وجريانه على أوزان كلام العرب في المهن والنسبة. قال الفراء: « سمعت العرب تقول لصاحب اللؤلؤ: لاء مثل لعال، والقياس لأء مثال لعاع »[32].

المطلب الثاني ــ الدقة في عزو القراءات ووصف مرتبتها العلمية

5-الدَّرْك: عرض الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) الأوجه اللغوية والقرائية للفظ، ونصه: «في «الدرك» لغتان فصيحتان، مشهورتان: فتحُ الراء، وإسكانها، وقُرِئ بهما في السبع... والدَّرْكُ الأسفل: قَعْرُ جهنم، وأقصى أسفلها، ولجهنم أَدْراكٌ»[33].

توجيه القـــــــراءة:

1- توجيـــــه قـــراءة فتح الراء (الدَّرَك): توجيهها أنها الأصل والأكثر استعمالاً، وبها قرأ الجمهور، وجمعها (أَدْراك) كجَمَل وأَجْمال. قال مكي بن أبي طالب: «فتح الراء أكثر في اللغات وفي الاستعمال، وهو الاختيار لذلك ولأن الأكثر عليه»[34]، ونقله الإثيوبي عن الزجاج: «الاختيار فتح الراء؛ لأنه أكثر في الاستعمال»[35]

2- توجيـــــه قراءة إسكان الراء (الدَّرْك): توجيهها -وهي قراءة الكوفيين-أنها لغة فصيحة، وجمعها (أَدْرُك) كفَلْس وأَفْلُس. قال مكي بن أبي طالب: «قرأه الكوفيون بإسكان الراء... وهما لغتان كالقَدْر والقَدَر»[36]. ونقله الإثيوبي عن أبي حاتم: «جمع الدَّرْك بالإسكان أَدْرُك، كفَلْس وأَفْلُس»[37].

3-**التوجيـــــه من حيث الوصف (الأسفل):** يرتبط الوصف بـ (الأسفل) في الآية بصيغة المفرد (الدَّرْك) لا الجمع. قال عاصم (نقلاً عن مكي): «لو كانت بفتح الراء لكانت جمع دركة... فيجب على هذا أن يوصف بالسفلى، ولا يوصف بالأسفل»[38].

6- (يَعـــــزُبُ) : أورد العلامة الإثيوبي في (قرة عين المحتاج) الأوجه اللغوية والقرائية للفعل (عَزَبَ) عند شرحه لمقدمة صحيح مسلم، ونصه: «بفتح الزاي: أي بَعُدَ، وغاب عن علمي، يقال: عزَب الشيء يَعزُبُ بضم الزاي، كنصر ينصر، ويَعزِب

بكسرها، كضرب يضرب، لغتان فصيحتان، قُرِىء بهما في السبع، والضم أشهر، وأكثر»[39].

توجيه القراءة:

1-توجيه قراءة ضم الزاي (يَعزُبُ): توجيهها أنها اللغة الأشهر والأكثر استعمالاً، وهي قراءة جمهور القراء، وتأتي على وزن (يَفْعُلُ) بضم العين في المضارع. قال النووي: «لغتان فصيحتان قرئ بهما في السبع، والضم أشهر وأكثر»[40].

وقال ابن خالويه: «وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالضَّمِّ، وَهُمَا لُغَتَانِ يَعْزُبُ وَيَعْزِبُ مِثْلَ عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكِفُ»[41].

2- توجيه قراءة كسر الزاي (يَعزِبُ): توجيهها -وهي قراءة الكسائي وحده- أنها لغة فصيحة جارية على وزن (يَفْعِلُ) بكسر العين، وكلاهما يفيد معنى البُعد والمغيب عن العلم.

قال ابن خالويه: «قَرَأَ الْكِسَائِيُّ وَحْدَهُ: «وَمَا يَعْزِبُ» بِكَسْرِ الزَّايِ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ... وَمَعْنَى لَا يَعْزُبُ عَنْهُ: لَا يَبْعُدُ عَنِ اللَّهِ شَيْءٌ»[42].

7-المُحْصَنَات:

أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) الأوجه القرائية في لفظ (المحصنات)، مبيناً معناها المراد، ونصه: «أما «المحصنات الغافلات»: فبكسر الصاد وفتحها، قراءتان في السبع، قرأ الكسائيّ بالكسر، والباقون بالفتح، والمراد بـ«المحصنات» هنا: العفائف»[43].

توجيه القراءة:

1-توجيه قراءة فتح الصاد (المُحْصَنَات): توجيهها -وهي قراءة الجمهور-أنها بصيغة (اسم المفعول)، أي اللاتي أحصنهنَّ أزواجهنَّ أو أحصنهنَّ الإسلام، فالفعل لغيرهنَّ.

قال ابن خالويه: «وَمَنْ قَرَأَ بِالْفَتْحِ جَعَلَ الْمُحْصَنَاتُ بِالْأَزْوَاجِ أَيْ: أَحْصَنَهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ، فَالْأَزْوَاجُ مُحْصِنُونَ، وَالنِّسَاءُ مُحْصَنَاتٌ»[44].

2-توجيه قراءة كسر الصاد (المُحْصِنَات)

توجيهها -وهي قراءة الكسائي-أنها بصيغة (اسم الفاعل)، أي اللاتي أحصنَّ أنفسهنَّ بالعفة أو الإسلام، فالفعل لهنَّ.

قال النووي: «بكسر الصاد وفتحها قراءتان في السبع، قرأ الكسائي بالكسر والباقون بالفتح»[45].

وقال ابن خالويه: «وَالْمُحْصِنَاتُ... بِالْكَسْرِ تَكُونُ الْعَفِيفَةَ، وَتَكُونُ الْمُسْلِمَةَ، أَيْ: أَحْصَنَتْ نَفْسَهَا بِالْإِسْلَامِ»[46].

8-آنِفًا:

قال الإثيوبي: «وبالقصر، بوزن كَتِفٍ، على لغة صحيحة أيضًا، وقد قُرئ بهما في السبع»[47].

وقد أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) الأوجه اللغوية والقرائية للفظ (آنِفًا)، مبيناً معناه الزمني، ونصه: «بالمدّ، والقصر، قال المجد: آنفًا، كصاحب، وكَتِفٍ، وقُرئ بهما؛ أي: مذ ساعة؛ أي: في أول وقت يَقْرُب منّا»[48].

توجيه القراءة:

1-توجيه قراءة المد (آنِفًا): توجيهها أنها اللغة المشهورة، وهي على وزن (فَاعِل) كصاحب، وتفيد وقوع الشيء في أول وقت يقرب من المتكلم. قال النووي: «بالمد على اللغة المشهورة، وبالقصر على لغة صحيحة قرئ بها في السبع»[49].

وقال ابن خالويه: «والذي قرأتُ عَلَيْهِ ممدودٌ مثل أَبِي عَمْرٍو... أي: من ساعةٍ»[50].

ثانياً: توجيه قراءة القصر (أَنِفًا) توجيهها أنها لغة صحيحة على وزن (فَعِل) ككَتِف، وقد رُويت عن البزي عن ابن كثير بخلاف عنه، وهي تؤدي ذات المعنى في الدلالة على القرب الزمني.

وقال ابن خالويه: «حَدَّثَنِي ابنُ مجاهدٍ، عنْ نَصْرٍ، عنْ البَزّي، عنْ ابنِ كثيرٍ «مَاذَا قَالَ أنِفًا» مقصورُ الألفِ»[51].

المطلب الثالث: الموقف من الزيادات التفسيرية (القراءات الشاذة)

9-قراءة ابن مسعود: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل»

أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) قراءة منسوبة لابن مسعود -رضي الله عنه- في معرض الاستدلال الفقهي، مبيناً حكمها القرائي والعملي: «وتعلقوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، وفي قراءة ابن مسعود: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل»، وقراءة ابن مسعود هذه شاذّةٌ، لا يحتج بها قرآنًا، ولا خبرًا، ولا يلزم العمل بها»[52].

توجيه القراءة:

توجيه هذه القراءة أنها خارجة عما أجمع عليه الصحابة في المصاحف العثمانية، وهي زيادة لم يثبت تواترها، بل هي من قبيل التفسير الذي كان يُدرجه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة، ولا تأخذ حكم القرآن في التعبد أو النسخ.

قال الإمام الطبري: «فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين. وغير جائز لأحد أن يلحق في كتاب الله تعالى شيئًا لم يأت به الخبرُ القاطعُ العذرَ عمن لا يجوز خلافه»[53].

10-قراءة "في قُبُل عدتهن" أنموذجاً:

ورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) قراءة مروية في السنة عند شرحه لأحاديث الطلاق، مبيناً حكمها القرائي والأصولي: «(وَقَرَأَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ») قال النوويّ: هذه قراءة ابن عباس، وابن عمر، وهي شاذّة، لا تثبت قرآنًا بالإجماع، ولا يكون لها حُكم خبر الواحد عندنا، وعند محققي الأصوليين»[54].

توجيه القراءة:

توجيه هذه القراءة لغوياً أنها رويت بضمتين (قُبُل) وبضم فسكون (قُبْل)، ومعناها استقبال العدة وابتداؤها، وهي تصديق وتفسير لمعنى القراءة المتواترة ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

قال ابن جني: «هذه القراءة تصديق لمعنى قراءة الجماعة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، أي: عند عدتهن. ومثله قول الله تعالى: ﴿لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾، أي: عند وقتها»[55].

11-وَدَّعَكَ:

تناول العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) الأوجه القرائية في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾، مبيناً الفرق بين المشهور والشاذ، ومحققاً لمسألة لغوية دقيقة، ونصه: «هو بتشديد الدّال، على القراءات الصحيحة المشهورة... وقُرئ في الشاذّ بتخفيفها (وَدَعَكَ)، قال أبو عبيد: هو من وَدَعَه يَدَعه، معناه: ما تركك... والحاصل أن وَدَعَ ماضيًا ثابت فصيح، غير أنه قليل الاستعمال، فتبصّر»[56].

توجيه القراءة:

1-توجيه قراءة التشديد (وَدَّعَكَ) توجيهها أنها القراءة المتواترة (السبع)، وهي من (التوديع) الذي فيه مبالغة في الوداع، وهي اللغة الفصحى المشهورة التي جرى عليها استعمال العرب.

2-توجيه قراءة التخفيف (وَدَعَكَ) والرد على دعوى "الإماتة": توجيه هذه القراءة -وهي شاذة رويت عن عروة ومجاهد وغيرهم -أنها من (وَدَعَ يَدَعُ) بمعنى ترك، وقد اختلف النحاة في ثبوت ماضيها على قولين:

- مذهب القائلين بالإماتة والاستغناء: ذهب سيبويه وجماعة من النحاة وأهل النقل إلى أن العرب أماتت الماضي والمصدر من (يَدَعُ)، واستغنت عنها بلفظ (تَرَكَ). قال ابن خالويه: «وهذا لا يصححه أهل النقل؛ لأنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ أَفصحُ الناسِ... وكلامُ العربِ يدع، ويذر، ولا يُقال مِنْهُ ودعته، ولا وذرته»[57]. ونقله الإثيوبي عن سيبويه: «استغنت العرب بتركه عنْ ودعته»[58].

- مذهب المثبتين للفعل: ذهب المحققون إلى أن الماضي والمصدر ثابتان فصيحان في لسان العرب، لكنهما قليلا الاستعمال، واستدلوا بورودهما في السنة الصحيحة وأشعار العرب.

قال الفيومي: «فقد رُويت هذه الكلمة عن أفصح العرب، ونُقِلت من طريق القرّاء، فكيف يكون إماتةً؟.. وما هذه سبيله فيجوز القول بقلّة الاستعمال، ولا يجوز القول بالإماتة»[59].

واستشهدوا بالحديث: «لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ»، وبقول الشاعر:

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي ... غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَهْ[60].

المبحث الثاني: التوجيه والدراية (اللغوية والشرعية) للقراءات

المطلب الأول: التوجيه الصرفي والصوتي عند الإتيوبي

12-الرِّبَا:

أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) الأوجه القرائية واللغوية في لفظ (الرِّبَا)، مبيناً أصله الاشتقاقي، ونصه: «وقرأ حمزة، والكسائيّ بالإمالة بسبب كسرة الراء، وقرأ الباقون بالتفخيم؛ لفتحة الياء... وأصل الربا: الزيادة، يقال: ربا الشيء يربو: إذا زاد»[61].

توجيه القراءة:

1-توجيه قراءة الإمالة (الرِّبِي) توجيه هذه القراءة -وهي قراءة حمزة والكسائي- يعود لعلل صرفية وصوتية، رغم أن أصل الألف واوي (ربو)، ومنها:

-الكسرة المجاورة: فالإمالة هنا جاءت لمناسبة كسرة الراء في أول الكلمة.

-التثنية والرجوع للياء: أن ذوات الواو إذا كانت مكسورة الأول أو مضمومة جاز تثنيتها بالياء في لغة لبعض العرب، وما جازت تثنيته بالياء جازت إمالته.

-التصغير: أن الألف قد ترجع إلى الياء في حال التصغير (رُبَيّ)، وهو مسوغ للإمالة. قال مكي بن أبي طالب: «فإن قيل: فلم أمال حمزة والكسائي «الربا» وهن من الواو؟ فالجواب: أنهما إنما أمالا على لغة للعرب، يثنّون ما كان من الأسماء من ذوات الواو، مكسور الأول أو مضمومه بالياء»[62].

2-توجيه قراءة الفتح والتفخيم (الرِّبَا): توجيهها -وهي قراءة الجمهور-أنها جارية على الأصل الواوي للكلمة من (ربا يربو)، والأصل في ذوات الواو الفتح والتفخيم، كما عُلل التفخيم بفتحة الياء في لغة البعض. قال الإثيوبي: «وقرأ الباقون بالتفخيم؛ لفتحة الياء... وأصل الربا: الزيادة، يقال: ربا الشيء يربو: إذا زاد»[63].

3-اللغات الواردة في اللفظ: نقل الإثيوبي لغات أخرى تعزز الدلالة اللغوية للمعاملة المالية، منها: (الرِّمَاء) بالميم والمد، و(الرُّبية) بضم الراء والتخفيف، مبيناً جواز رسم الكلمة بالألف أو الواو أو الياء تبعاً لهذه الاعتبارات. قال الإثيوبي: «وقال أهل اللغة: والرِّمَاء بالميم، والمدّ هو الربا، وكذلك الرُّبية بضم الراء، والتخفيف لغة في الربا»[64].

13-سَمّ الخياط:

أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) الأوجه اللغوية والقرائية في لفظ (سَمّ) عند شرحه لأحاديث الوعيد، ونصه: «و«سمّ الخياط» بفتح السين، وضمّها، وكسرها، والفتح أشهر، وبه قرأ القراء السبعة، وهو ثُقب الإبرة، ومعناه: لا يدخلون الجنة أبدًا، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة أبدًا»[65].

توجيه القراءة:

1-توجيه قراءة فتح السين (سَمّ): توجيهها أنها اللغة الأفصح والأشهر في الاستعمال، وبها قرأ القراء السبعة، وهي الأصل في تسمية الثقوب الضيقة.

قال الطبري: «والسُّمومُ في جمعِ السَّمِّ الذي هو بمعنى الثَّقْبِ أفصحُ... وقد يقالُ لواحدِ السُّموم التي هي الثُّقوبُ: سَمٌّ وسُمٌّ بفتح السين وضمِّها»[66]. وقال الهُذلي: «الباقون بفتح السين، وهو الاختيار، لأنه أشهر»[67].

2-توجيه قراءات الضم والكسر (سُمّ -سِمّ)

توجيه هذه الأوجه أنها لغات صحيحة ومستفيضة في لسان العرب، وقرئ بها في الشواذ (كقراءة ابن محيصن وقتادة والأصمعي)، وهي تشترك في ذات المعنى وهو "الثقب". قال الطبري مستشهداً بقول الفرزدق: «فنفَّستُ عن سَمَّيْه حتى تنفَّسَا... يعني بسَمَّيْه: ثَقْبَيْ أَنفِه»[68]. وقال الهُذلي: «بكسر السين الأصمعي عن نافع وبضمهما أبو حيوة، وأبو السَّمَّال، وأحمد، وابن مُحَيْصِن، وقَتَادَة»[69].

14-سُحْقًا:

أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) الأوجه اللغوية والقرائية في لفظ (سُحْقًا) عند شرحه لأحاديث الوعيد، ونصه: ««سُحْقًا» لغتان، قُرِئ بهما في السبع: إسكان الحاء، وضمها، قرأ الكسائيّ بالضمّ، والباقون بالإسكان»[70].

توجيه القراءة:

1-توجيه قراءة إسكان الحاء (سُحْقًا) توجيه هذه القراءة -وهي قراءة الجمهور- أنها لغة فصيحة جارية على التخفيف، وهي الأصل في المصدر، وتفيد معنى البُعد الشديد. قال الأزهري: «وقرأ الباقون (فَسُحْقًا) خفيفًا... هما لغتان جيدتان»[71]. وقال ابن خالويه: «إِسْكَانُ الْحَاءِ وَضَمُّهَا... ونُصِبَ عَلَى تَقْدِيرِ أَلْزَمَهُمُ اللَّهُ سُحْقًا أَوْ سَحَقَهُمْ سُحْقًا»[72].

2-توجيه قراءة ضم الحاء (سُحُقًا) توجيه هذه القراءة -وهي قراءة الكسائي وحده- أنها لغة جيدة جاءت على وجه التثقيل (الإتباع)، ولها نظائر كثيرة في كلام العرب كـ (الرُّعْب والرُّعُب). قال الأزهري: «قرأ الكسائي وحده (فَسُحُقًا) مثقلًا»[73]. وقال ابن خالويه: «يخير لأنَّهما لُغتان مثل الرُّعُب والرُّعْبِ... ومعناه أسحقه الله وأبعده»[74].

3-التوجيه الاشتقاقي والدلالي: يرتبط لفظ (السُّحْق) بالبُعد الطويل والشديد، ومنه استعملت العرب هذا اللفظ للدلالة على طول النخلة وبُعد مداها. قال ابن خالويه: «ويقال: نخلة سحوق أي: طويلةٌ»[75].

المطلب الثاني: الاستشهاد بالقراءات لترجيح المعاني الفقهية والبيانية

15- (لا تُضَارُّ/ لا تُضَارَّ):

أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) عند شرحه للأحكام والحدود الواردة في النصوص، توجيهاً دقيقاً لهذه اللفظة، ونصه: «وإثباتها على أنه خبر، يراد به النهي، فيكون أبلغ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] على قراءة مَن رَفَع»[76].

توجيه القراءة:

1- توجيه قراءة الرفع (لا تُضَارُّ): توجيهها من جهة الإعراب أنها خبرٌ مستأنف، سِيق مساق النهي ليكون أبلغ في التأكيد، وقد جاءت نسقاً واتباعاً لما قبلها من المرفوعات في قوله تعالى: (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا).

قال ابن خالويه: «فالحجة لمن جعله مرفوعاً: أنه أخبر بـ "لا" فردّه على قوله: لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا.. أخبر بذلك عن نفسه مستأنفاً بالواو»[77].

2- توجيه قراءة الفتح (لا تُضَارَّ): توجيهها أنها نهيٌ محض، والفعل فيها مجزوم بـ "لا" الناهية، وعلامة جزمه السكون المقدر، وفتح آخره لالتقاء الساكنين بعد الإدغام.

قال ابن خالويه: «والحجّة لمن نصب: أنه عنده مجزوم بحرف النهي، والأصل فيه: لا تضارِر، فأدغم الراء في الراء وفتح لالتقاء الساكنين، ومثله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾»[78].

16- (مَا كَذَبَ/ مَا كَذَّبَ):

أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) عند شرحه لآيات الوحي في سورة النجم توجيهاً للقراءتين، مبيناً أثر التشديد في المعنى، ونصه: «قرأ أبو رجاء، وأبو جعفر، وقتادة، والْجَحْدريّ، وخالد بن إلياس، وهشام عن ابن عامر﴿ مَا كَذَّبَ ﴾مشدّدًا، أي صدّقه، ولم يشكّ أنه جبريل بصورته، وفي الآيات من تحقيق أمر الوحي ما فيها»[79].

توجيه القراءة:

1- توجيه قراءة التخفيف (مَا كَذَبَ): توجيهها أن الفؤاد كان صادقاً فيما نقله وصوّره، فلم يقع منه كذبٌ فيما رآه النبي ﷺ بعينه. وهي القراءة المختارة والأكثر شهرة.

قال الأزهري: «من قرأ (مَا كَذَبَ) مخففاً فمعناه: ما كذب فؤاد محمد ﷺ في ما رأى بعينه.. والقراءة بالتخفيف وهو المختار»[80]. وقد ذكر ابن مجاهد أن هذه قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر وبقية القراء الستة[81].

2- توجيه قراءة التشديد (مَا كَذَّبَ): توجيهها أن الفؤاد لم ينكر ما شاهدته العين، بل صدّقه وأيقن به يقيناً تاماً لا يخالطه شك.

قال الأزهري: «فمعناه: لم يجعل الفؤادُ رؤية عينه كذبًا»[82]. وقد انفرد بها من القراء السبعة هشام بن عمار عن ابن عامر، بينما وافقه فيها جملة من القراء مثل أبو جعفر وقتادة وغيرهم[83].

المطلب الثالث: المعيار اللغوي والترجيح بين الأوجه

17-(عَسَيْتُم/ عَسِيتم):

أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) عند شرحه لحديث الاستعاذة والرجاء، الأوجه اللغوية والقرائية في هذه اللفظة، ونصه: «﴿هَلْ عَسَيْتَ﴾ بفتح السين المهملة، وكسرها، والفتح أولى، قرأ نافع قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [محمد: ٢٢] بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها»[84]

توجيه القراءة:

1- توجيه قراءة فتح السين (عَسَيْتُم): توجيهها أنها اللغة الأشهر والأعرف في لسان العرب، وهي المختار عند جمهور القراء والنحاة؛ لقوة القياس فيها مع الفعل المجرد (عَسَى).

قال ابن خالويه: «وهو الاختيار، لإجماع الجميع على قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾، ولم يقل: عَسِيَ»[85]. فبقاء السين مفتوحة مع ضمير الرفع المتحرك هو الأصل في هذه اللغة.

2- توجيه قراءة كسر السين (عَسِيتم): توجيهها أنها لغةٌ صحيحة لبعض العرب، وقد انفرد بها الإمام نافع وحده في سورة البقرة، ووافقه يعقوب في سورة محمد[86].

والكسر هنا يشير إلى تداخل اللغات، حيث تُعامل معاملة الأفعال التي على وزن (فَعِلَ) عند اتصالها بالضمير، وهي لغة فصيحة وإن كان الفتحُ أشهرَ منها.

نكتة لغوية: أشار ابن خالويه إلى أن (عَسَى) تدل على الترجي والاستقبال، ولذلك يقترن خبرها بـ (أن) والفعل المضارع، أما ما ورد في المثل العربي: «عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُساً» بدون (أن)، فقد وجّهه سيبويه على أن (عَسَى) هنا جاءت بمعنى (كَانَ) تامةً[87].

18- (الدَّرَك/ الدَّرْك): أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) عند شرحه لمراتب الوعيد، الأوجه اللغوية والقرائية في هذه اللفظة، ونصه: ««الدرك» لغتان فصيحتان، مشهورتان: فتحُ الراء، وإسكانها، وقُرِئ بهما في القراءات السبع، قال الفَرّاء: هما لغتان، جَمْعُهُما أَدْراك»[88].

توجيه القراءة:

1- توجيه قراءة فتح الراء (الدَّرَك): توجيهها أنها اللغة الأشهر والأكثر استعمالاً في لسان العرب، وهي الأصل في النطق لسهولتها. وقد قرأ بها نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر[89]. وهي تجمع على (أَدْراك) قياساً على (جَمَل وأَجْمَال)، كما ذكر أبو حاتم اللغوي[90].

2- توجيه قراءة إسكان الراء (الدَّرْك): توجيهها أنها لغةٌ فصيحة جاءت للتخفيف، وهي لغة أهل الكوفة (عاصم، وحمزة، والكسائي)[91]. وتجمع على (أَدْرُك) قياساً على (فَلْس وأَفْلُس). كما استشهد ابن خالويه ببيت امرئ القيس في وصف الفرس:

بِمُقَلَّصٍ دَرْكِ الطَّرِيدَةِ مَتْنُهُ كَصَفَا الْخَلِيفَةِ بِالْفَضَاءِ الْأَجْرَدِ

المعنى والدلالـــــة: اتفق أهل اللغة والتفسير على أن (الدَّرْك) هو قعر الشيء ومنتهاه من أسفل، ولــذا قيل: « الجنة درجات (إلى أعلى)، والنار دركات (إلى أسفل)»، قال النووي - رحمه الله-: « الدَّرْكُ الأسفل: قَعْرُ جهنم، وأقصى أسفلها، ولجهنم أَدْراكٌ، فكل طبقة من أطباقها تُسَمَّى دَرَكًا»[92].

19- ﴿ **يَمُدُّونَهُمْ/ يُمدُّونَهُمْ**﴾**:** أورد العلامة الإثيوبي في (البحر المحيط الثجاج) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ**﴾ [الأعراف: 202]، توجيهاً لغوياً دقيقاً لمعنى المد والإمداد، ونصه: « قرئ بالوجهين: أي يُطيلون لهم، وقد يكون أمده من الْمُدّة التي جعلت له، قال صاحب «الأفعال»: أمددتك مدّةً: أي أعطيتكها، أو يكون من الإمداد، وهي الزيادة في الشيء من غيره»[93].

توجيه القـــــــراءة:

1- توجيـــــه قراءة فتح الياء وضم الميم (يَمُدُّونَهُمْ): توجيهها أنها من الفعل (مَدَّ)، وهي القراءة التي عليها جمهور القراء (ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي) [94]. والحجة في اختيارها أن الغالب في كلام العرب استعمال (مَدَّ) في الشر و(أَمَـــدَّ) في الخير. ولما كان السياق هنا في "الغي" وهو من الشر، كان الفتح أوفق وأفصح. قال مكي بن أبي طالب: «فهذا يدلّ على قوة الفتح في هذا الحرف، لأنه في الشر.. والغي هو الشر، ولأن الجماعة عليه»[95]. واستشهد لذلك بقوله تعالى في الشر: ﴿ **وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ**﴾**.**

2- توجيـــــه قراءة ضم الياء وكسر الميم (**يُمِدُّونَهُمْ**): توجيهها أنها من الفعل (أَمَدَّ)، وقد انفرد بها الإمام نافع وحده في هذا الموضع[96] ، وهي لغة صحيحة بمعنى الزيادة والإعانة، ومنه قوله تعالى في الخير: ﴿**وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ**﴾، وقولهم: "أمددتُ الجيش" إذا كثرته وأعنته بغيره. فكأن الشياطين تزيدهم إمداداً وتُكثّرهم في طريق الغي.

الخاتمـــــة:

فقد أبحرت هذه الدراسة في معالم منهج العلامة المحدث محمد بن علي بن آدم الإتيوبي في علم القراءات من خلال شرحه الموسوعي "البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، وقد كشفت الدراسة عن سعة اطلاع الشيخ، وتمكنه من علوم الآلة التي سخرها لخدمة النص النبوي. وفي ختام هذا البحث، يمكن إجمال أهم النتائج والتوصيات فيما يلي:

أولاً ـ أهم النتائج:

1-أثبتت الدراسة أن الشيخ الإتيوبي لم يكن محدثاً فحسب، بل كان إماماً لغوياً ومقرئاً متمكناً، حيث استطاع الربط بين القراءات القرآنية وعللها النحوية وبين دلالات الحديث الشريف، مما جعل شرحه مرجعاً أصيلاً في "توجيه القراءات".

2-لم يكتفِ الإتيوبي بنقل القراءات عن النووي أو غيره من الشراح، بل كان له شخصية نقدية تظهر في ترجيح بعض الأوجه على بعض بناءً على قوة الدليل اللغوي أو السياق الحديثي.

3-تميز الشيخ باستقصاء الأوجه القرائية في اللفظة الواحدة، ولم يكتفِ بالمتواتر بل عرج على الشاذ، موضحاً الفرق بينهما من حيث الحجية الأصولية والاحتجاج اللغوي.

4-ظهرت نزعة الشيخ في تفضيل الأوجه القرائية الموافقة للأفصح والأشهر في لسان العرب، مع احترامه التام لكل ما ثبتت روايته، متبعاً في ذلك منهج المحققين الذين يجمعون بين "الرواية والدراية".

5-تسم منهج الشيخ بالدقة المتناهية في عزو القراءات إلى أصحابها، والتمييز الدقيق بين المذاهب النحوية (البصرية والكوفية) في توجيه تلك القراءات.

ثانياً ـ التوصيات والمقترحات:

بناءً على ما تقدم من نتائج، يوصي الباحث بما يلي:

1-يوصي الباحث بضرورة استكمال الدراسات حول منهج الشيخ الإتيوبي في بقية العلوم التخصصية في كتابه "البحر المحيط"، كمنهجه في الأصول أو البلاغة، نظراً لغزارة المادة العلمية فيه.

2-دراسة "اختيارات أبي منصور الأزهري في القراءات"؛ للوقوف على منهجه في الترجيح والاحتجاج اللغوي للقراءات من خلال كتابه "معاني القراءات".

3-دراسة اختيارات أبي القاسم الهُذَلي في الكامل في القراءات العشر، وتوجيهها اللغوي.

وختاماً، فإن هذا الجهد ما هو إلا محاولة لإبراز جانب من جوانب عبقرية الإمام الإتيوبي، فإن كان فيه من صواب فمن الله وحده، وإن كان غير ذلك فمن نفسي والتقصير البشري، والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش :

(1) انظر: ترجمة الشيخ لنفسه في كتابه: "مواهب الصمد لعبده محمد في أسانيد كتب العلم الممجد"، دار ابن الجوزي -الرياض، كذلك: ترجمة الشيخ محمد علي آدم، إعداد مركز سلف للبحوث والدراسات، كذلك: صفحات مضيئة من حياة العلامة محمد بن علي بن آدم الإثيوبي رحمه الله - دروس ومواقف، تأليف: د. أبرار الحق مولوي، دار ابن الجوزي - الرياض

(2) مقدمة كتاب "ذخيرة العقبى في شرح المجتبى"، والترجمة التي كتبها تلميذه شرف الدين الأزهري.

(3) "منح الإله في سيرة شيخنا محمد بن علي" - مقال منشور بطلب من طلابه في دار الحديث الخيرية.

(4) ثبت أسانيد الشيخ محمد بن علي بن آدم الإتيوبي" المسمى بـ (اتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد الكتب الأثرية).

(5) فهرس مؤلفات الشيخ في "دار ابن الجوزي" و"دار بركات للنشر".

(6) بيان رئاسة شؤون الحرمين الشريفين، ونعي كبار العلماء عبر الحسابات الرسمية ووكالات الأنباء.

(7) البحر المحيط الثجاج 7/1

(8) المصدر السابق 8/1

(9) المصدر السابق 9/1

(10) المصدر السابق 10/1
(11) المصدر السابق 10/1
(12) المصدر السابق 10/1
(13) المصدر السابق 424/6
(14) شرح النووي على مسلم 132/3
(15) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها 549/1
(16) البحر المحيط الثجاج 75/29
(17) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر 211/1
(18) شرح النووي على مسلم 137/11
(19) إتحاف فضلاء البشر 211/1
(20) الإقناع في القراءات السبع 240/1
(21) إتحاف فضلاء البشر 211/1
(22) إتحاف فضلاء البشر 211/1
(23) البحر المحيط الثجاج 559/5
(24) فتح الباري 106/13
(25) شرح النووي على مسلم 98/3
(26) فتح الباري 106/13
(27) شرح النووي على مسلم 98/3
(28) البحر المحيط الثجاج 190/5
(29) تهذيب الأسماء واللغات 125/4
(30) الكامل في القراءات العشر 394/1
(31) تهذيب الأسماء واللغات 125/4
(32) المصدر السابق 125/4
(33) البحر المحيط الثجاج 452/5
(34) الكشف عن وجوه القراءات 401/1
(35) البحر المحيط الثجاج 452/5
(36) الكشف عن وجوه القراءات 401/1
(37) البحر المحيط الثجاج 452/5
(38) الكشف عن وجوه القراءات 401/1
(39) قرة عين المحتاج 388/2
(40) شرح النووي على مسلم 132/1
(41) إعراب القراءات السبع وعللها 160/1
(42) المصدر السابق 160/1
(43) البحر المحيط الثجاج 42/3
(44) إعراب القراءات السبع وعللها 82/1
(45) شرح النووي على مسلم 84/2
(46) إعراب القراءات السبع وعللها 82/1

(47) البحر المحيط الثجاج 193/6
(48) المصدر السابق 51/41
(49) شرح النووي على مسلم 121/3
(50) إعراب القراءات السبع وعللها 418/1
(51) المصدر السابق418/1
(52) البحر المحيط الثجاج 61/25
(53) تفسير الطبري 179/8
(54) البحر المحيط الثجاج 55/26
(55) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات 323/2
(56) البحر المحيط الثجاج 352/31
(57) إعراب القراءات السبع وعللها 524/1
(58) البحر المحيط الثجاج 352/31
(59) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير 653/2، وينظر: البحر المحيط الثجاج 352/31
(60) إعراب القراءات السبع وعللها ط العلمية 524/1
(61) البحر المحيط الثجاج 563/27
(62) الكشف عن وجوه القراءات 381/2
(63) البحر المحيط الثجاج 563/27
(64) البحر المحيط الثجاج 563/27
(65) البحر المحيط الثجاج 269/43
(66) تفسير الطبري 187/10
(67) الكامل في القراءات العشر 552/1
(68) تفسير الطبري 187/10
(69) الكامل في القراءات العشر 552/1
(70) البحر المحيط الثجاج 345/6
(71) معاني القراءات للأزهري 79/3
(72) إعراب القراءات السبع وعللها 453/1
(73) معاني القراءات للأزهري 79/3
(74) إعراب القراءات السبع وعللها 453/1
(75) إعراب القراءات السبع وعللها 453/1
(76) البحر المحيط الثجاج 189/2.
(77) الحجة في القراءات السبع 97/1.
(78) المصدر نفسه
(79) البحر المحيط الثجاج 16/5.
(80) معاني القراءات للأزهري 231/3.
(81) السبعة في القراءات 614/1.
(82) معاني القراءات للأزهري 231/3.
(83) البحر المحيط الثجاج 16/5، والسبعة في القراءات 614/1.

(84) البحر المحيط الثجاج 152/5.
(85) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه 60/1.
(86) معاني القراءات للأزهري 387/2.
(87) إعراب القراءات السبع وعللها 60/1.
(88) البحر المحيط الثجاج 452/5.
(89) السبعة في القراءات لابن مجاهد 239/1.
(90) البحر المحيط الثجاج 452/5.
(91) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه 87/1.
(92) شرح النووي على مسلم، نقلاً عن البحر المحيط الثجاج 452/5.
(93) البحر المحيط الثجاج 477/20.
(94) السبعة في القراءات لابن مجاهد 301/1.
(95) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب 487/1.
(96) السبعة في القراءات 301/1.